

الأمير عبد القادر في الشام: من الوطنية الجزائرية إلى القومية العربية.

~~~~~ أ. عبد القادر بوتشيخة \*

مقدمة: تمثل مقاومة الأمير عبد القادر مرحلة هامة من مراحل الكفاح المسلح للشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي منذ أن وطئت أقدام عساكره أرض الجزائر، فبعد مبايعة الأمير عبد القادر في نوفمبر سنة 1832م، شرع في وضع مشروع بناء دولة حديثة، بالرغم من قلة الامكانيات واختلال ميزان القوى بين هذه الدولة الفتية ودولة الاحتلال، إلا أنها صمدت واستطاعت أن تنتزع اعتراف العدو بها، وقد تجلت فيها كل مظاهر السيادة، مما جعل الكثير من المؤرخين يعتبرون الأمير عبد القادر مؤسس الدولة الجزائرية الحديثة.

ثم تمكنت قوات الاحتلال - بخيانة داخلية وبتواطئ من دول الجوار - من وأد هذا المشروع، وتعرض الأمير للخديعة والأسر، وسُجن مدة أربع سنوات حتى اعتلى نابليون الثالث عرش فرنسا فأطلق سراحه مقابل التزامه بعدم العودة للجزائر.

عندما انتقل الأمير عبد القادر إلى الشام بعد إطلاق سراحه من طرف الإمبراطور نابليون الثالث كانت سمعته وسيرته الطيبة قد سبقته إلى تلك الديار، فقد سمع الناس عن بطولاته في جهاده الطويل ضد الفرنسيين في الجزائر، ولكنه كان على موعد مع الشهرة التي بلغت الآفاق، عندما تدخل بكل شجاعة وإخلاص لإطفاء نار الفتنة التي نشبت بين المسلمين والمسيحيين. وكان هذا الموقف الشجاع هو الذي دفع عددًا من زعماء الشرق والغرب لترشيحه لإمارة بلاد الشام.

والذي يهمننا في هذا المقام هو استقطاب الأمير عبد القادر للمشاريع العربية التي كانت تهدف إلى تحقيق أمان العرب في الحرية والاستقلال سواء في إطار الرابطة العثمانية أو خارجها. فما هي حقيقة مسألة ترشيح الأمير عبد القادر ملكا على الشام؟ وكيف ساهم الأمير عبد القادر الجزائري في تبلور الفكر القومي في بلاد الشام؟ ما مكانة الأمير لدى سكان الشام،

\* - أستاذ مستخلف في التاريخ الحديث والمعاصر - شعبة التاريخ - كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية - جامعة الشلف.

ولماذا أصر هؤلاء على اختيار الأمير عبد القادر؟ ذلك ما سأحاول الإجابة عليه من خلال هذا البحث.

بؤادر الحركة القومية العربية: عندما بدأت فكرة القومية ترحف على ولايات السلطنة العثمانية المسيحية - خاصة في البلقان - كانت بلاد الشام تزرع لعدة قرون تحت الحكم العثماني. وكانت علاقة بلاد الشام بالحكومة المركزية بإسطنبول أوثق من أي منطقة أخرى في السلطنة<sup>1</sup>. إلا أن هذا الوضع لم يستمر وبدأت الأفكار الغربية الجديدة تتسرب إلى المنطقة. وكان لحملة إبراهيم باشا على بلاد الشام وفترة حكمه لها أثر واضح على هذا التحول خاصة لدى نصارى الشام، فثناء الاحتلال المصري لبلاد الشام وفي أعقابها، شهدت المنطقة نشاطا كثيفا للإرساليات التبشيرية الأجنبية خاصة الفرنسية والأمريكية اللتين «قدر لهما أن تحتضنا البعث العربي وترعياه»<sup>2</sup>.

وقد ساهمت حملة محمد علي باشا على الشام في تبلور حركة القومية العربية؛ التي انتعشت كثيرا في غياب الرقابة العثمانية، وتوسع نشاط الإرساليات التبشيرية الأجنبية خاصة في مجالات التعليم، ولاقت التشجيع من إبراهيم باشا، فانتعشت اللغة العربية وقامت حركة أدبية وفكرية كان روادها من نصارى بيروت وجبل لبنان، ثم تحولت هذه الحركة من الأدب إلى السياسة<sup>3</sup>. كل هذا كان يحدث مع تزايد وتيرة التدخل الغربي في شؤون السلطنة الاقتصادية والسياسية وإجبارها السلطان على إدخال إصلاحات جذرية (مست خاصة الجوانب الاقتصادية والسياسية) وكان لها أثر واضح على التركيبة الاجتماعية للمجتمع الشامي. هذا بالإضافة إلى أن السلاطين والقادة الأتراك أخذوا هم أنفسهم يتطلعون إلى الأخذ بأسباب تقدم أوروبا، و«رأوا مصدر الخلل في تزايد دونيتهم العلمية والتقنية.. وسوف يصل الأمر بأكثرهم جسارة إلى حد تصور أن بعض مؤسساتهم قد أصبحت غير متوافقة مع عالم تطور سريعا»<sup>4</sup>.

كان لانتشار تيار القومية السريع في أوروبا، والذي لاقى فيها قبولا كبيرا، كما كان لإعلان حقوق الإنسان وحقوق المواطن تأثير كبير على الأقليات في السلطنة العثمانية. لذا جاهرت هذه الفئة بالتعبير عن مصالحها استناداً إلى دعم الغرب الذي ضغط على السلطنة العثمانية وطالبها بإجراء إصلاحات جذرية لصالح الذميين. وكان فرمان الإصلاحات في السلطنة يكرس مبدأ المساواة في الحقوق بين المسلمين والنصارى، مما أدى إلى مشاركة هؤلاء

بتقاسم السلطة شبه الخصرية بالفئات الإسلامية. وأتاح لأبنائهم حضوراً مؤثراً في مختلف المناصب الإدارية والقضائية وسواها. (مصدر)

وهكذا تصافرت عوامل داخلية وأخرى خارجية لبروز تيار قومي بدأ نشاطه في المجال الثقافي ليتحول تدريجياً إلى النشاط السياسي المستتر ثم السافر. وعلى الرغم من تباين نظرة المسلمين والنصارى لمسألة الارتباط بالسلطنة إلا أنهم كانوا يجمعون على ضرورة الإصلاح.

من المتنورين العرب الذين أخذوا وجهة الإصلاح وعملوا على إحياء الأدب العربي في بلاد الشام وعرفوا أبناء منطقتهم بعظمة الحضارة العربية نذكر: ناصيف اليازجي<sup>5</sup> الذي كان كاتباً للأمير بشير الشهابي ودرس اللغة العربية لعدة أجيال؛ وابنه إبراهيم<sup>6</sup> الذي كان من أئمة النهضة الفكرية واللغوية وكان لقصيدته<sup>7</sup> - التي أهاب فيها بالعرب أن ينتبهوا ويستيقظوا - أصداء واسعة في بلاد العرب وكذلك بطرس البستاني<sup>8</sup> الذي نادى بفكرة وطن سوري في نطاق الدولة العثمانية، وكان يرى أن السوريين سواء كانوا مسيحيين أم مسلمين هم أبناء وطن واحد وحث السوريين على تجاوز العصبية الدينية إلى العصبية الوطنية وإلى العصبية العربية، اللتين رأهما توحداً وتقويان<sup>9</sup>، وأبرز فكرة ارتباط الجماعة الوطنية بالعربية لأن العربية لغة وثقافة قاعدة مشتركة لأبناء الوطن<sup>10</sup>.

وكان لاستقرار الأمير بالشام أثره الواضح على ظهور الوعي القومي بالمنطقة نظراً لتاريخه النضالي ولغزارة علمه وإطلاعه على نهضة وحضارة الغرب بسبب احتكاكه بالفرنسيين سواء في الجزائر أثناء مقاومته لهم أو في فرنسا أثناء أسره وبعد إطلاق سراحه. وتأثر بفكره الكثير من علماء المشرق منهم الشيخ محمد عبده<sup>11</sup> «الذي يتحدث رشيد رضا عن صلته بالأمير.. فيقول وكانت بين الرجلين صلات وأحاديث في شؤون المسلمين». ومنهم أيضاً الشيخ عبد الرحمن عlish (ت 1930) شيخ الطريقة الشاذلية الذي صحب الأمير في دمشق وكان من خاصته المقربين وهو الذي تولى تغسيله وتكفينه<sup>12</sup>.

شخصية الأمير ومكانته بين أهل الشام: عندما استقر الأمير عبد القادر بالفيحاء دمشق طاب له فيها المقام، ووجد بها ما كان يصبو إليه بعد إطلاق سراحه واستعادة حريته، فقد أثر أن يقضي بقية حياته في أحضان مجتمع إسلامي عربي يستطيع التواصل معه، وهي الرغبة التي أعلنها عندما اضطر إلى وضع السلاح والتسليم للسلطات الفرنسية أواخر سنة 1847م. وفي دمشق تفرغ

الأمير للعبادة والعلم، ولم يسع إلى الحكم ولا طلب الرياسة أو الجاه على الرغم من إلحاح الفرنسيين عليه . ومع ذلك لم يتوان في الاستجابة لنداء الواجب كلما دعاه.

كان الأمير في دمشق سيدا عظيما، محترما من الجميع، له كلمة نافذة وصوت مسموع، وكان قصره الكبير مؤثلا لرجال الفضل، والعلماء والأعلام، ورجال الدين المبجلين، ودعاة الصوفية على مختلف نحلهم وبدعهم<sup>13</sup>. «والتحم الأمير مع أهل الشام حتى أصبح واحدا منهم... وفتح داره للزائرين والاحتاجين والعلماء. وأصبح مهوى الأفئدة ومطمح الأنفس»<sup>14</sup>.

لقد كان الأمير يشعر بحاجة الناس إليه وبحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه ليس فقط تجاه أتباعه وإنما تجاه كل أفراد المجتمع الشامي الذي فضل الإقامة بين ظهرائه، لقد كان صاحب رسالة، «ولم يدخر أي فرصة لزيادة شعبيته وشهرته كَوَلِّيَّ بَارٍ، وهو يضحي بالكثير من أجل نشر هذه الفكرة المسيطرة عليه»، كما عبر عن ذلك جورج بولاد<sup>15</sup> في تقرير له عن الأمير بتاريخ 12 نوفمبر 1857م<sup>16</sup>.

مكانة الأمير لدى نصارى الشام: إن المكانة التي بلغها الأمير عبد القادر في العالم أجمع بعد توقف مقاومته إنما بلغها جراء موقفه المعروف مما عرف بـ(فتنة الستين) أو (حوادث الستين) والتي أنقذ فيها ما يقارب خمسة عشر ألف نسمة من النصارى من الموت الخقق<sup>17</sup>، وجنب الشام حربا أهلية لا تُعرف عواقبها. فمن البديهي أن يكسب الأمير قلوب النصارى في الشام وخارجها، ولئن انقسم المسلمون بين مؤيد ومبارك للعمل الذي قام به تجاه نصارى دمشق وبين مستغرب لهذا الأمر<sup>18</sup>، فإن النصارى يجمعون على أن ما قام به الأمير يعتبر عملا بطوليا وتاريخيا.

وبعد ذلك أصبح وجوده في دمشق يشكل ضمانا للرعايا المسيحيين وحفظ الأمن وأنه إذا غادر المدينة فمعناه هجرة جماعية للمسيحيين من سورية، وهذا حسب ما جاء في برقية موجهة إلى السفير الفرنسي في اسطنبول<sup>19</sup>.

واعترف للأمير بهذا الفضل كثير من زعماء النصارى في الشرق والغرب ووصلته رسائل الشكر وأوسمة التقدير من قادة وملوك الدول والممالك المسيحية كفرنسا وإيطاليا وروسيا وبريطانيا وإسبانيا وبروسيا وغيرها. وفي هذا الشأن يقول المؤرخ والروائي اللبناني المعروف جورج زيدان<sup>20</sup> ما يلي: «أما النصارى فهم كافة مدينون لفضل هذا الرجل العظيم لأنه جاء

عمالاً برهن على عظم نفسه ومروءته وشهامته، وقد نال جزاءه من الدول الأوروبية فبعثت إليه بوسامات الشرف ورسائل الثناء...»<sup>21</sup>.

ورثاه الأديب الشاعر أديب إسحاق<sup>22</sup> بقصيدة تحت عنوان «داهية دهما» وهذا بعض ما جاء فيها<sup>23</sup>:

|                                |                                             |
|--------------------------------|---------------------------------------------|
| ما خلت أن عماد الدهر ينهدم     | حتى قضى السيد العالي الذرى العلم            |
| القاصد المجد ما زلت به قدم     | الصاعد العزم ما انحطت له همم                |
| البازل الخير ما خاضت مكارمه    | الحافظ العهد ما ضاعت له ذمم                 |
| الموقد النار يوم الروع يضرمها  | حينا ويطفئها والنار تضطرم                   |
| فالخيل والليل والبيداء تنديه   | والسيف والرمح والقرطاس والقلم <sup>24</sup> |
| والحزم والعزم والمجد الذي بسقت | فروعه والعلى والفضل والكرم                  |

ولا نجد أبلغ ما وصف به الأمير مما قاله فيه أحد شهود العيان على فتن الستين: «.. رجل عظيم المقام رفيع القدر عالي الهمة كثير التمسك بفضائل الاسلام شريف في الحسب والنسب ساد بالسيف وساد بالأدب.. هو السيد السند والفرد الأمجد والبطل الأوحد الأمير الخطير والمليك الشهير عبد القادر الحسيني الجزائري»<sup>25</sup>.

مكانة الأمير لدى مسلمي الشام: إذا كانت تلك مكانة الأمير لدى النصارى وهم يختلفون عنه في الدين، فإن مكانته عند عموم المسلمين وخاصتهم كانت أعظم، فقد أحبوه وبعجوه حتى قبل قدومه إليهم، وعندما حل بينهم رحبوا به أيما ترحاب واحتفوا به وتسابقوا على استضافته. ويورد تشرشل كيف استقبل الأمير عند قدومه إلى الشام وخاصة من طرف الدروز الذين استقبلوه بطلقات البارود وأصروا على استضافته ورافقوه حتى غادر حدود منطقتهم<sup>26</sup>. ولا يختلف الأمر بالنسبة للشيعة فقد كانوا يلجأون إليه في الحصول على تراخيص المرور في الأيام التي أعقبت حوادث الستين وكانت له مع زعمائهم مراسلات<sup>27</sup>.

وعندما عرفه أهل الشام عن قرب أصبح «مركز اهتمام العلماء والمثقفين أكثر من غيرهم، فهو بألقابه الثلاث - كونه شريفاً من نسل النبي ﷺ وعالماً وزعيماً للجهاد - كان جديراً بتبجيلهم العميق. وكانوا يشعرون أنهم مرتبطون به ليس فقط بمشاعر العاطفة القومية ولكن

أيضا بالواجب الديني؛ وأن تجربتهم السريعة معه في علمه الغزير قد جعلهم يتشوقون إلى الاستفادة من معارفه»<sup>28</sup>.

واعتبره بعض عوام الشام وليا من أولياء الله بكل ما يعنيه هذا في اعتقاد العوام، فقد روى عادل الصلح عن والده أنه وخلال قيام الأمير وبعض وجهاء الشام بجولات في مدن الشام، روى كيف «أن أهالي المدن التي حل بها الأمير والقرى التي مرَّ بها أخذوا بما شاهدوه من ورعه وتقواه، وبما سمعوا من مناقبه ومكارمه، حتى أن بعضهم طفق ينسب إليه الخوارق، ويروي عنه الحكايات على أنها كرامات الأولياء والأتقياء، منها أنه خلال رحلته، كان إذا ما دخل بيتا هطلت الأمطار، وإذا انتهت الزيارة وأراد الخروج إلى غيرها لفنوا نظره إلى هطول الأمطار، فلا يأبه لتحذيرهم ويتابع سيره. وما إن يصل إلى باب الدار حتى ينقطع المطر ويصحو الجو، إلى غير ذلك من الأمور التي كان يتناقلها الناس في يقين وإيمان»<sup>29</sup>.

لقد استطاع الأمير بقوة شخصيته ودمائه أخلاقه وبسمعته الطيبة أن يجمع حوله كبراء الشام، وخاصة العلماء، فجعلهم في بلاطه وأجرى لهم مرتبات شهرية. وكما كان يفعل مع فقراء بورسة<sup>30</sup> خصص يوم الجمعة لإطعام فقراء دمشق ومساكينها. وهكذا صار الأمير شخصية مقصودة لقضاء حوائج الناس عامتهم وخاصتهم<sup>31</sup>.

وهكذا كان لقدمه في المدينة تأثير واضح على سكانها، وفي هذا الشأن تقول المؤرخة الأمريكية ليندا شيلر: «وقد تأثر الدمشقيون بعلمه وتقواه واستقامته وكرمه. فقد كان عالما متبحرا بالمذاهب الإسلامية، وشيخا للطريقة القادرية»<sup>32</sup>.

ولا ينسى له مسلمو الشام دوره في تخفيف العقوبات التي صدرت في حق من أتهموا بالمشاركة في حوادث الستين. ففي سنة 1865م زار الأمير اسطنبول وقابل السلطان عبد العزيز وعرض عليه شفاعته في أعيان دمشق الذين حُكم عليهم بالنفي إثر فتنة دمشق. فلبى السلطان شفاعته، وأصدر «إرادة سنية» بإطلاق هؤلاء الأعيان وإعادتهم إلى بلادهم<sup>33</sup>.

وقد استمر تأثير آل الجزائري حتى بعد وفاة الأمير إذ أعلن جل أبنائه ولاءهم للسلطان العثماني، «وبذلك عكست [كذا] الاتجاه العثماني الذي غلب في دمشق في أواخر القرن...»<sup>34</sup>. الحركة الاستقلالية الشامية وترشيح الأمير لقيادتها: لقد انتهى المشروع الفرنسي لتولية الأمير هلي سوريا برفض الأمير عبد القادر له، وبسقوط صاحبه - نابليون الثالث - من الحكم ثم موته

بمنافاة بلندن سنة 1873م، إلا أن فكرة المشروع لم تنته، وتجددت ولكن هذه المرة نبعت من داخل بلاد الشام نفسها مستغلة الظروف والمستجدات التي طرأت على المنطقة والساحة الدولية.

ظروف قيام الحرب الروسية العثمانية ومؤتمر برلين: لم يتوقف سعي روسيا للسيطرة على البلقان، وتعددت محاولاتها للاستئثار بهذه المنطقة الحيوية. فقد تذرعت بمساعدة الثورة اليونانية لتفرض صلح أدرنه (1829)، واستفادت من ضعف السلطان محمود الثاني أمام إبراهيم باشا لتعرض عليه الحماية الروسية، وأشعلت حرب القرم (1854) ففقدت كل امتيازاتها في مؤتمر باريس. وظلت بعد ذلك تتحين الفرص لاستعادة نفوذها. فلما اندحرت فرنسا في الحرب السبعينية سارعت إلى نقض شروط مؤتمر باريس، وأخذت تنهياً لجولة جديدة في البلقان بأن دعت إلى يقظة سلافية في البوسنة والهرسك والصرب والجبل الأسود<sup>35</sup>.

لقد كان التحريض على الحرب قويا من قبل القوميين السلاف في روسيا وفي الدولة العثمانية نفسها بالرغم من أن بريطانيا نصحت السلطان بعدم الانجرار للحرب ضد روسيا إلا أن السلطان لم يأخذ بنصيحتها. فقد عقد مؤتمر باسطنبول (1876/01/18) حضرته كل من إنجلترا وفرنسا وألمانيا وإيطاليا والنمسا والمجر وروسيا إلى جانب تركيا وقدم المؤتمر اقتراحا بإجراء إصلاحات في بلغاريا والبوسنة والهرسك لتفادي الصدام مع روسيا. لكن ضغط الأصوات المنادية بالحرب داخل الحكومة العثمانية وعلى رأسها الصدر الأعظم مدحت باشا<sup>36</sup>، جعل السلطان يرفض مقترحات مؤتمر باسطنبول ثم مقترحات بروتوكول لندن (1877/03/31) المعدلة لمقترحات مؤتمر باسطنبول<sup>37</sup>.

وهكذا اندلعت الحرب في 1877/04/24 ووجدت تركيا نفسها وحدها في مواجهة روسيا. وتقدم الروس حتى مشارف العاصمة العثمانية، واضطر السلطان إلى القبول بشروطهم القاسية في صلح سان ستيفانو<sup>38</sup> الذي نص على:

- استلاء روسيا على مناطق متاخمة لحدودها تقع في شرق البحر الأسود منها قارص<sup>39</sup> وباطوم<sup>40</sup>.

- احتفاظ البوسنة والهرسك على استقلالهما الذاتي.

- حصول رومانيا وصربيا والجبل الأسود على الاستقلال التام.

- إنشاء دولة بلغاريا الكبرى ووضعها تحت الحماية الروسية.<sup>41</sup> وبذلك أصبحت روسيا صاحبة النفوذ الأكبر في البلقان مما أثار مخاوف أوروبا. فبدأ الضغط على القيصر من الدول الكبرى حتى وافق على إعادة النظر في معاهدة سان ستيفانو. فانعقد مؤتمر برلين (1878) لتعديل شروط معاهدة سان ستيفانو.<sup>42</sup> فعدّلت بحيث قلصت من النفوذ الروسي، لكن الدولة العثمانية خسرت في مؤتمر برلين ما لم تفقده في أي حرب سابقة.<sup>43</sup>

إن المطالب القومية كانت سببا وهدفا لحرب 1877 بين روسيا وتركيا أو «حرب 93»<sup>44</sup> كما يسميها الأتراك فالخرض الأكبر لها في روسيا هي الجامعة السلافية التي ضغطت على القيصر لإعلان الحرب على تركيا بعد رفضها لقرارات مؤتمر اسطنبول وبروتوكول لندن كما مر معنا. وكانت الجامعة السلافية تهدف إلى استقلال الشعوب السلافية في البلقان عن الحكم العثماني وإنشاء دول قومية تحت الحماية الروسية وأصدق مثال على ذلك صربيا وبلغاريا، وهذه الأخيرة أصبحت بعد معاهدة سان ستيفانو بمثابة مغناطيس للدب الروسي.<sup>45</sup>

وهكذا حصلت معظم شعوب البلقان على مطالبهم وأمنيتهم القومية فكان هذا الأمر محفزا ودافعا للقوميين العرب من أجل التحرك لتحقيق أمنيتهم في الحرية والاستقلال. كما أن انشغال تركيا بالحرب وحالة الضعف التي بلغت في أعقاب الهزيمة أمام الروس يعتبر فرصة سانحة للساعين إلى الانفصال عن السلطنة العثمانية. وحتى أنصار العثمينة والوحدة الإسلامية أحسوا في تلك الظروف أن أيام السلطنة أصبحت معدودة وأن القوى الأوروبية تتربص بها الدوائر. وساد مسلمي السلطنة قلق عميق حول مصير دولتهم<sup>46</sup>: هل ستسقط اسطنبول حاضرة الخلافة العثمانية بيد روسيا وتضيع كما ضاعت قرطبة وغرناطة، وهل ستستغل الدول الكبرى انهيار السلطنة عسكريا وماليا لتحل المسألة الشرقية نهائيا وتنتهي إلى السيطرة على ممتلكاتها<sup>47</sup>، ففكروا- والوضع هكذا- في (القفز إلى البحر وركوب زورق النجاة قبل غرق السفينة بمن عليها).

حركة وجهاء الشام: في الوقت الذي كان الوعي القومي العربي يتبلور تدريجيا وكانت الأزمات تعصف بالدولة العثمانية والانحدار يتسارع، تنادت مجموعة من القوميين العرب في لبنان إلى ضرورة التفكير الجدي في مستقبل العرب. عُرفت هذه المجموعة بوجهاء الشام وعُرف مسعاهم بحركة الوجهاء أو الأعيان.

المشاركون في حركة الوجهاء: كان على رأس هذه المجموعة أحمد الصلح<sup>48</sup> وكان زعيم حركة الوجهاء المسلمين. أخذ يتحرك سرا في مدن ومناطق لبنان ويكشف أصدقاءه عن مشروعه، ثم وسع نطاق اتصالاته لتشمل سورية كلها.

وإلى جانبه نجد ابنه محمود منح الصلح (1856-1920)، كان قد تولى القضاء في بيروت وكان مقربا من الأمير عبد القادر وكاد أن يتزوج إحدى بناته لولا وفاتها المفاجئة<sup>49</sup>. وُصف بأنه «العقل المدبر لكثير من شؤون التحرك السياسي الممهد والحرك للفكرة العربية والزعات الاستقلالية»<sup>50</sup>.

ومن الشخصيات السنية البارزة التي لعبت دورا مؤثرا في الحركة الشيخ أحمد عباس الأزهري (1853-1927)، كان عالما تلقى علومه بجامع الأزهر والتقى بكل من الشيخ محمد عبده والسيد جمال الدين الأفغاني، اشتغل الأزهري بالتدريس وأسس «الكلية العثمانية» التي اشتهرت بانفتاحها على الطلاب غير المسلمين وعلى اللغات الأجنبية واعترفت بشهادتها المعاهد العليا الفرنسية، وتخرج من مدرسته فيما بعد عدد من رواد الإصلاح المناهضين لسياسة التتريك<sup>51</sup>.

كما ارتبطت أسماء أخرى بحركة الوجهاء كأصدقاء لزعماء الحركة منهم الحاج حسين بيهم<sup>52</sup>، والحاج إبراهيم آغا الجوهري الذي شغل منصب رئيس بلدية صيدا لسنوات عدة<sup>53</sup>، وعائلة السيد حسن تقي الدين الحصري مفتي دمشق ونقيب أشرافها التي استضافت بدارها الوجهاء الذين قدموا من بيروت<sup>54</sup>.

هذا عن الجانب السني أما من الجانب الشيعي فنجد السيد محمد الأمين بن علي الحسيني (1812-1880م). عالم شيعي من الأشراف. عين مفتياً لجبل عامل. اشتهر بعدم سكوته على الظلم وبمنازحته لبعض الولاة العثمانيين وأمراء البلاد. نُفي إلى طرابلس لمدة ثلاث سنوات بسبب مشاركته في نشاط حركة الأعيان<sup>55</sup>. قال عنه عادل الصلح بأنه «..معدود في الشيعة كالشيخ محمد عبده في السنة من حيث الدعوة الإصلاحية، وهو فضلا عن مكانته الدينية كان من كبار المناضلين ضد الاستعمارين الانجليزي والفرنسي في البلاد العربية، وله في ذلك مواقف مشهورة»<sup>56</sup>.

ومن علماء الشيعة الذين شاركوا في حركة الأعيان، الشيخ علي بن أحمد الحر الجباعي الذي توفي سنة 1903 كان من أسرة عملت في مجال القضاء في جبل عامل. ذاع صيته عام 1860 لحمايته مسيحيين في منزله بجباج<sup>57</sup>.

وإلى جانب هذين الشيخين شارك في نشاط الحركة الاستقلالية بعض الوجهاء من الطائفة الشيعية ورد ذكرهم في المراجع التي أرخت لهذه الحركة منهم: الحاج علي عسيران (توفي حوالي 1904). كان أبوه حسين عسيران قنصلاً لإيران في صيدا وكبيراً للتجار الإيرانيين ومن أثرياء المدينة. ورث علي عن أبيه المال والسلطة حيث تمكن من استرداد أموال أبيه التي صادرتها السلطات العثمانية كما عُيِّن من طرف شاه إيران في وظيفتي والده السابقتين. كما تذكر المراجع شخصية أخرى شاركت في نشاط حركة الوجهاء وهو شبيب باشا الأسعد الوائلي (1852-1917). من عائلة شيعية إقطاعية. وكان أدبياً وشاعراً<sup>58</sup>.

نشاط حركة الوجهاء: بدأ نشاط الحركة من بيروت، حيث كان يقيم أحمد الصلح المحرك الرئيسي للحركة، الذي راح يكشف أصدقاءه وخلصاءه بالفكرة والغاية المنشودة، ثم وسع دائرة اتصالاته فسافر إلى صيدا وجبل عامل وعرض الفكرة أيضاً على بعض زعماء المنطقة، وجرت اجتماعات سرية في صيدا لمدة شهرين ثم قصدوا دمشق واتصلوا فيها ببعض أعيانها فلاقت الفكرة كل التأييد، ثم اتجهوا إلى «دمر» حيث كان يقيم الأمير عبد القادر فتدارسوا معه أوضاع البلاد<sup>59</sup>.

لقد كانت هذه الاتصالات الأولية بمثابة جس للنض ونبأ للآراء حول الفكرة، وكانت وسائلها المشافهة والاتصالات الفردية واللقاءات والاجتماعات السرية. إذ «كان الصلح يدرك خطورة ما قرر الاقدام عليه»<sup>60</sup>.

وبعد عودة الصلح والزعماء الذين رافقوه في زيارته لدمشق، سافر إلى مدن الشمال السوري كحمص وحلب وحماه واللاذقية، واتصل برؤساء العشائر العلوية. كما زار جبل الدروز واتصل بزعمائه. وكان الصلح يعرض الفكرة على أعيان المناطق التي زارها وعلى زعماء عشائرها ويدعوهم إلى بيروت لمزيد من التداول والتشاور. لقد تزامن مع نشاط وتحركات الوجهاء ظهور مناشير في مدن سورية عديدة تعبر عن تذمر أهالي سورية من الحكم العثماني وتدعوهم للثورة عليه<sup>61</sup>. ولا يمكن الجزم بأن هذه المناشير كانت من وسائل حركة الوجهاء بالرغم من أن الصلح يتحدث عنها في سياق حديثه

عن نشاط الحركة، لأن أغلب المؤرخين الذين أرحوا للحركة القومية العربية - ومنهم جورج انطونيوس<sup>62</sup> - ينسبونها إلى «جمعية بيروت السرية» التي تأسست سنة 1875<sup>63</sup>، أي قبل ظهور حركة الوجهاء بسنتين. وعلى الرغم من أن المصادر التاريخية لا تشير إلى وجود تنسيق بين مختلف الجمعيات والحركات السياسية، إلا أن هناك تقاطعاً في نشاطها نظراً لوحدة الأهداف والغايات.

ومع مرور الوقت كثر المنضمون إلى المجموعة وأخذ أعضاؤها يعقدون الاجتماعات السرية خاصة في بيروت، كما عُقد مؤتمر سري في دمشق، وفيه تقرر العمل على استقلال البلاد الشامية<sup>64</sup>. وكانت تركيبة المؤتمرين تتكون من السنة والشبيعة والدروز والعلويين<sup>65</sup> الذين قرروا ترشيح الأمير لزعامة الدولة المنشودة<sup>66</sup>؛ وقد كُلِّف أحمد الصلح بتبليغ القرار للأمير، فما كان موقفه؟

لقد جرى النقاش حول ثلاث نقاط وهي: الخلافة والبيعة وشكل الدولة المنشودة. فأما مسألة الخلافة فإن الأمير تركها للسلطان العثماني، وأما البيعة<sup>67</sup> فاشتراط أن تكون من أهل البلاد جميعاً؛ وأما شكل الدولة المنشودة فقد جرى الاتفاق على التريث بشأنها<sup>68</sup> حتى تتضح الأمور حول مصير الدولة العثمانية<sup>69</sup>.

لقد رغب الأمير ببقاء الارتباط الروحي بين بلاد الشام والخلافة العثمانية، كما كان يرى أن يبقى السلطان العثماني سلطاناً على الشام أيضاً وأن يُجمع أهل الشام على مبايعته<sup>70</sup> (أي الأمير). وهكذا تصرف الأمير بحكمة تفادياً للصدام مع دولة الخلافة ولم يرد أن يشبط عزائم القوميين العرب.

قام الأمير وأحمد الصلح وبعض الأعيان بجولة دعائية زاروا خلالها العديد من مدن الشام كصيدا وجبل عامل وعكا ويافا والقدس ونابلس وبعبك وغيرها. ولكي يصرف الأمير أنظار السلطات العثمانية عن الغرض الحقيقي من هذه الجولات ادعى أنه كان يقوم بتفقد مواطنيه الجزائريين. ولكنه كان في الواقع يستطلع مواقف السوريين من مسألة ترشيحه لعرش سورية<sup>71</sup>. ولم يكن لحركة مثل هذه أن تبقى في طي الكتمان فقد وصلت أخبارها إلى قناصل بعض الدول الأوروبية الذين راسلوا حكوماتهم بشأنها دون ذكرها بالاسم. كما أن أخبار الحركة وصلت إلى مسامع السلطان في الآستانة «فقامت السلطات في سورية باتخاذ تدابير احترازية كثيرة. وفرضت الإقامة الجبرية على زعماء الحركة... ونفت إلى خارج البلاد بعضاً منهم...

ومنع الاختلاط بين الأمير وأحمد الصلح...»<sup>72</sup>. وقام السلطان عبد الحميد الثاني بتعيين مدحت باشا واليا على سورية فقام بإصلاحات عديدة خاصة في ميدان التعليم الذي وجده متخلفا كثيرا<sup>73</sup>. وتقرب من زعماء الحركة الاستقلالية ولاينهم، وأدخل كثيرا من العرب في الوظائف (منها قائممقاميات ومتصرفيات) وأعطى الأقليات تمثيلاً أوسع في الإدارة. فعرفت الولاية مرحلة من الهدوء والاستقرار<sup>74</sup>.

لقد أحس السلطان عبد الحميد الثاني بتململ القوميات المكونة للدولة العثمانية ورغبتها في الاستقلال (خاصة في الشام والحجاز وكردستان وألبانيا) فتبنى فكرة الجامعة الإسلامية بعد الحرب الروسية العثمانية، وقد قامت هذه السياسة على تسخير كل شرائح المجتمع العثماني من علماء ومتصوفين وأعيان وجهاهير في سبيل تثبيت نظام حكمه في الداخل وتجاه الخارج الممثل في القوى الأوروبية<sup>75</sup>.

وجاء مؤتمر برلين ليحقق لبعض القوميات البلقانية ما كانت تطمح إليه دون أن ينهي المسألة الشرقية وأعطى للدولة العثمانية مهلة أخرى (امتدت حتى الحرب العالمية الأولى) لتصارع من أجل البقاء وضد التفكيك.

وهكذا فإن قرارات مؤتمر برلين - القاضية بالإبقاء على الدولة العثمانية - كانت إحدى عوامل تلاشي حركة الأعيان إذ أن مبرر وجودها (التخوف من انهيار الدولة العثمانية) يكون قد زال بعد هذا المؤتمر. وهو الأمر الذي ينفي عن هذه الحركة الرغبة الانفصالية «ولم تكن حركة الأعيان يثيرها الحقد على الخلافة، ولا دعوة تسويقها يد غريبة ذات أغراض وأطماع، بل كانت محاولة أهلية أصيلة صافية في عروبتها انبعثت من إرادة الشعب»<sup>76</sup>.

بين الأمير عبد القادر والزعيم اللبناني يوسف كرم<sup>77</sup>: وفي تلك الأثناء وبالتوازي مع تحركات وجهاء الشام، وصلت الأمير رسالة مطولة من الزعيم اللبناني يوسف كرم - الذي كان يعيش منفيا في إيطاليا وقتئذٍ - كانت هذه الرسالة بداية لسلسلة من الرسائل تبادلها الزعيمان، أبدى خلالها يوسف كرم حماسه وتأييده الشديدين لفكرة الدولة العربية وشرح الأمير لرئاستها كما اقترح عليه الاتصال بالدول الأوروبية لتأييد الفكرة.

لقد استهل الزعيم اللبناني رسالته بتشخيص للوضع الدولي ودسائس السياسة الدولية الأوروبية وإلى الوضع الذي آلت إليه الدولة العثمانية نتيجة الفساد الذي انتشر فيها وكيف أن هذا كله انعكس سلباً على الأقطار العربية التي أصبحت شعوبها تعيش حالة من الظلم

والاستبعاد. ثم اقترح على الأمير مراسلة حكومات وشعوب أوروبا وسائر القبائل العربية في شأن استقلال البلاد العربية في إطار الرابطة العثمانية، هذا إذا وافقت الدولة العثمانية على ذلك، «وإلا فالأفضل... أن تزعوا من الحكومة العثمانية الأقطار العربية التي تتوق بالطبع لإحياء سطوة وحقوق الجنس والوطن»<sup>78</sup>.

ولم يغفل الزعيم اللبناني أن يوضح نوع وشكل الدولة المرتقبة، فهو يراها دولة اتحادية على غرار النمط الألماني بإقامة إمارات مستقلة في بلاد الشام تخضع لحكم إسلامي برئاسة الأمير، مع ضمان لمصالح المسيحيين في جبل لبنان وصيانة حرياتهم الدينية<sup>79</sup>. وتوالت الرسائل بين الطرفين لكنها في الغالب كانت عن طريق وسيط<sup>80</sup> وكان الطرفان يلجآن إلى التشفير خوفاً من انكشاف أمرهما وكان موضوعها واحداً وهو تحرير البلاد العربية وتولية الأمير عليها.

ويبدو من خلال محتوى هذه الرسائل أن يوسف كرم كان مؤمناً كل الإيمان بمجدوى هذه الحركة وكان يستعجل تنفيذ المشروع متحياً فرصة ضعف الدولة العثمانية وانقضاء الدول الأوروبية وخاصة روسيا ودول البلقان عليها، إذ أن آمال القوميين العرب - وخاصة أصحاب التزعة الاستقلالية - كانت معلقة بالروس وحلفائهم في المنطقة على اعتبار أن الانتصارات الروسية هي أقصر طريق إلى استقلال العرب<sup>81</sup>. وكان الزعيم اللبناني يخشى ردة فعل الدولة العثمانية في حال إقدامه هو ومن يؤيد مشروعه على الخطوة الحاسمة وهي إعلان الاستقلال. كما أن الزعيم اللبناني - ومن خلال هذه الرسائل - وبالقدر الذي كان متحمساً للتخلص من الحكم التركي، لم يكن يرغب في أن تقع البلاد العربية تحت حماية دولة أخرى، بل كان يراهن على تناقضات السياسة الدولية وتعارض مصالح الدول الكبرى لتحقيق مشروعه في الحرية والاستقلال.

وبالرغم من أن الزعيم اللبناني يوسف كرم ظل محتفظاً بجنسيته العثمانية حتى آخر أيامه، إلا أن مشروعه هذا - والذي تبادل بشأنه الرسائل السرية مع الأمير - كان ذا طابع انفصالي. لقد كان الأمير بمثابة نقطة التقاء وتقاطع بين مشروعين عربيين أحدهما مشروع إسلامي مثله وجهاء وأعيان الشام من السنة والشيعة ومشروع قومي كان محركة الماروني يوسف كرم هذا فضلاً عن المشروع الفرنسي الذي دفن بعد استسلام نابليون الثالث للجيش البروسي.

ولعل الأمير زهد في هكذا مشاريع بعد أن فشل هو نفسه في مشروعه الوطني والشخصي والذي ناضل من أجله ما يربو على الخمس عشرة سنة وتحمل بعدها مرارة الأسر وألم فراق الوطن. ولطالما عبر الأمير لزيارته والقائمين على حراسته في سجون فرنسا عن «موته السياسي» حتى يبدد المخاوف لدى السلطات الفرنسية حول إمكانية عودته للقتال بعد إطلاق سراحه<sup>82</sup>.

وبعد أربع سنوات من انعقاد مؤتمر دمشق توفي الأمير عبد القادر فتأجل الحلم العربي لأن المخطط الأوروبي لتقسيم البلاد العربية كان ينفذ تدريجياً وهذه المرة كانت المبادرة لبريطانيا. وهكذا كانت كل المؤشرات تشير إلى أنه كان بمقدور الأمير أن يضطلع بدور سياسي محوري، «ويبقى أمر عدم قيامه بذلك الدور واحداً من ألغاز سياسة دمشق في أواخر القرن»<sup>83</sup>.

#### الهوامش:

- 1- ستو عبد الرؤوف، الزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881 بلاد الشام-الحجاز- كردستان-ألبانيا، دار بيسان للنشر، بيروت، 1998، ص 31. --- 2- جورج انطونوس، يقظة العرب، تر ناصر الدين الأسد و إحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، 1987، ص 97، 106. --- 3- سنيو، مرجع سابق، ص 34. --- 4- روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، ج2، تر بشير السباعي، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1992، ص 461.
- 5- اليازجي، ناصيف (1800-1871م): كاتب وشاعر عربي لبناني، يُعد واحداً من أعمدة النهضة. أعاد للعربية صفاءها القديم في عصر تألّبت فيه عليها عوامل الضعف والركاكة. أشهر آثاره: «مجمع البحرين» و«الغرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب» وقد حالت ميتته دون إتمامه فأكملته من بعده ابنه إبراهيم. أنظر: منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ط1، دار العلم للملايين بيروت، 1992، ص 502.
- 6- اليازجي، إبراهيم (1847-1906م): صحفي ولغوي عربي لبناني. تلمذ على أبيه الشيخ ناصيف، فكان واحداً من أبرز رجال النهضة العربية الحديثة. أصدر في مصر مجلة «الضياء»، ونقح ترجمة «العهد القديم» للآباء اليسوعيين، وأكمل شرح ديوان المتنبي الذي بدأه والده. من أشهر آثاره «نجعة الرائد وشرعة الوارد في الترادف والمتوارد»، و«القوائد الحسان من قلائد اللسان» وهو معجم لغوي. انظر: نفسه.
- 7- قصيدة طويلة جاء في مطلعها:  
تَبَهَّوْا وَاسْتَقْبِقُوا أَيُّهَا الْعَرَبُ فَقَدْ طَبَى الْخَطْبُ حَتَّى غَاصَتِ الرُّكْبُ  
يَمُ التَّغَلُّلُ بِالْأَمَالِ تَخْذَعُكُمْ وَأَنْتُمْ بَيْنَ رَاحَاتِ الْقَنَا  
فَاللهُ أَحْمَرُ مَا هَذَا النَّامُ فَقَدْ سَلَبَ شِكَاكُمْ الْمَهْدُ وَاشْتَاقَكُمْ الثَّرَبُ  
- انظر: ميشال جحا، سلسلة الأعمال المجهولة، إبراهيم اليازجي، ط1، رياض الريس للكتب والنشر، لندن، 1992، ص 71.
- 8- البستاني، بطرس (1819-1883م): لغوي وموسوعي وصحافي لبناني. يعتبر أحد أبرز وجوه النهضة العربية الحديثة. أهم آثاره: «محيط الخيط»، وهو معجم لغوي في مجلدين كبيرين، و«دائرة المعارف» (الأجزاء الستة الأولى). أنظر: البعلبكي، مرجع سابق، ص 105. --- 9- ستو، مرجع سابق، ص 34. --- 10- عبد العزيز الدوري، التكوين التاريخي للأمة العربية دراسة في الهوية والوعي، مركز دراسات الوحدة العربية، ط3، بيروت، 1986، ص 147.
- 11- محمد عبد: (حسن خير الله، الشيخ الإمام، (1845-1905). ولد في إحدى قرى محافظة الغربية، ونشأ بقرية «محلة نصر» بمحافظة البحيرة بمصر. حفظ القرآن في سن العاشرة، التحق بالجامع الأزهر في عام 1866 حيث التقى بجمال الدين الأفغاني. اشتغل بالتدريس بالأزهر ودار العلوم. نفي بعد ثورة عرابي إلى خارج مصر ثلاث سنوات قصاها بين سورية وباريس وبلاد المغرب لم يتوقف خلالها عن نشاطه الإصلاحية. ثم عاد إلى مصر وعين في سلك القضاء والإفتاء ثم رئيساً لتحرير «الوقائع المصرية». كان مذهب الإمام محمد عبده يقوم على الإصلاح الديني، وإصلاح اللغة العربية، والإصلاح السياسي. أنظر مجدي سيد عبد العزيز (إعداد)، موسوعة المشاهير، ك 1، دار الأمين، القاهرة، ط1، 1996، ص 61-65.
- 12- عبد الباقي مفتاح، التعريف بكتاب المواقف للأمير عبد القادر الجزائري، ع خاص بمناسبة الذكرى 119 لوفاة الأمير عبد القادر، جوان 2002. --- 13- أحمد توفيق المدني، الأمير عبد القادر الجزائري وحوادث سورية الحزنية، والدولة العثمانية، مجلة التاريخ عدد خاص بمناسبة الذكرى 100 لوفاة الأمير عبد القادر، النصف الأول من سنة 1983، ص 5-8. --- 14- سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار البصائر، الجزائر، (د ت)، ص 537.

- 15- جورج شارل بولاد (Georges-Charles Bullad) مترجم في الجيش الأفريقي. ولد بمرسيليا في 24 جويلية 1827. كان من الموظفين الذين عينوا لمراقبة الأمير أثناء أسره بفرنسا، شارك في حملة الجنرال بيجو على منطقة القبائل ثم استدعي لمراقبة الأمير إلى بورسة. الحق بوزارة الشؤون الخارجية حيث كلف بمهمة مراقبة الأمير بين 1855 و1857. انظر: Laurent Charles Féraud, *Les interprètes de l'armée d'Afrique (archives du corps)*, A. Jourdan éditeur, Alger, 1876, pp. 343, 344.
- 16- إيتين برونو، عبد القادر الجزائري. تر ميشيل خوري، ط1، دار عطية للنشر، بيروت، دمشق، 1997، ص 485.
- 17- شارل هنري تشرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974، ص 286.
- إيتين، مرجع سابق، ص 447 --- 18- نفسه، ص 452.
- 19- زيدان، جورج حبيب: (1861-1914) رائد الصحافة الأدبية والرواية التاريخية. ولد في بيروت وتعلم بها. انتقل بين لبنان ومصر حيث استقر نهائيا أسس مطبعة الهلال وأصدر مجلة الهلال، ألف ثلاثة وعشرين رواية بالإضافة إلى العديد من الكتب في التاريخ والأدب واللغة. انظر حسين محمد نصار وآخرون، الموسوعة العربية الميسرة، م4، ط3، المكتبة العصرية، بيروت، 2009، ص 1758. 1759. --- 20- زيدان جورج، تراجم مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر، ج2، ط3، مطبعة الهلال، مصر، 1922، ص 253.
- 21- أديب إسحاق: (1856-1885) مسيحي من الطائفة الأرمنية، ولد بدمشق حيث تعلم اللغتين العربية والفرنسية ثم قدم إلى بيروت فتولى تحرير جريدة (التقدم) سافر إلى فرنسا ومصر واشغل بالصحافة والترجمة، انتظم في سلك الماسونية وكانت له مواقف جريئة من الحكومة والدين. توفي ببيروت. انظر شيخو لويس، تاريخ الآداب العربية (1800-1925)، ط3، دار المشرق، بيروت، 1991، ص 259.
- 22- عادل الصلح، سطور من الرسالة تاريخ حركة استقلالية قامت في المشرق العربي سنة 1877، دار العلم للملايين، بيروت، 1966، ص 83. --- 23- إشارة إلى بيت المتنبي: الحيل والليل والبيداء تعرفني\*\*\* والسيف والرمح والقرطاس والقلم.
- 24- مجهول، حسر اللام عن نكات الشام، ط1، مصر، 1895، ص 230، --- 25- تشرشل، مصدر سابق، ص 277.
- 26- محمد تقي الفقيه، جبل عامل في التاريخ، ط2، دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1986، ص 312. --- 27- محمد بلقراذ، الجانب الصوفي والتفاني في حياة الأمير عبد القادر، مجلة التاريخ، مرجع سابق، ص 73. --- 28- الصلح، مرجع سابق، ص 104.
- 29- تقع المدينة إلى الجنوب الشرقي من بحر مرمرة، فتحها عثمان بن أورخان عام 1326م، وهي العاصمة القديمة للإمبراطورية العثمانية (1326-1405م) اشتهرت بمساجدها ومبانيها ذات النمط المعماري المتميز بزخارفه كما اشتهرت بياهاها المعدنية وبنائيهما الحارة وصناعة الحرير. انظر حروفش بطرس وآخرون، المنجد في الأعلام، ط13، دار المشرق، بيروت، 1984م.
- 30- الخالدي سهيل، الإشعاع الغربي في المشرق دور الجالية الجزائرية في بلاد الشام، دار الأمة، الجزائر، 1997، ص 84.
- 31- ليندا شيلشر، دمشق في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، تر عمرو ودنيا الملاح، دمشق، 1998، ص 253. --- 32- الصلح، مرجع سابق، ص 82. --- 33- شيلشر، مرجع سابق، ص 253. --- 34- ليب عبد الساتر، التاريخ المعاصر، ط2، دار المشرق، بيروت، 1982، ص 330.
- 35- ولد أحمد شفيق وهو الاسم الحقيقي لمحدث باشا في اسطنبول عام (1238هـ-1822م) والده هو القاضي الحاج حافظ محمد أشرف. حفظ القرآن الكريم وهو في العاشرة وتعلم اللغتين العربية والفارسية إضافة إلى لغته الأصلية التركية. كما برع في الخط والكتابة الأمر الذي ساعده في العمل ككاتب في مجلس الصدر الأعظم وهو لم يبلغ العشرين من العمر. عين واليا على بغداد سنة 1869 كما عين صدرا أعظم عام 1872 ثم 1876 ثم واليا على سورية سنة 1878. وضع في عهده أول دستور عثماني. أقيم بقتل السلطان عبد العزيز، فحكم عليه بالإعدام ثم خفف إلى النفي المؤبد فنفي إلى الطائف حيث مات مخنوقا. انظر يوسف كمال بك حناته (تج)، مذكرات محدث باشا، مطبعة هندية، الموسكي، مصر، (د)، ص 4-9.
- والعليكي، مرجع سابق، ص 421. --- 36- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية ج2، تر عدنان محمود سليمان، منشورات مؤسسة فيصل للتطوير اسطنبول، 1990، ص 103، 105. --- 37- قرية صغيرة على مقربة من اسطنبول تسمى حاليا يزيلكوى وقعت فيها المعاهدة التي أنهت الحرب الروسية التركية. انظر نصار وآخرون، م4، مرجع سابق، ص 1784.
- 38- قارص: مدينة (حوالي 78365 نسمة، 2008) تقع بشرق تركيا، من صناعاتها المنسوجات والأغذية والسجاد، انتزعها الروس من الأتراك في 1828 و1855 و1877. وفي مؤتمر برلين تنازلت تركيا رسميا لروسيا عن منطقة قارص، وفيها مدينة قارص وأرضهان، ولكنها أعيدت لتركيا في 1921 بمقتضى معاهدة الصلح الفردية بين الاتحاد السوفيتي وحكومة كمال أتاتورك. انظر نفسه، م5، ص 2523.
- 39- باطوم أو باطومي: مدينة (121806 نسمة، 2002)، عاصمة جمهورية أجاز المسقلة ذاتيا، في جمهورية جورجيا على البحر الأسود. ميناء هام ومركز تجاري. تربطها أنابيب بترويل بباكو. مركز رئيسي لتكرير البترول وتصديره. تنازلت عنها تركيا لروسيا سنة 1878. انظر نفسه، م2، ص 608. --- 40- عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الإسلامية، دار النهضة الحديثة، بيروت، 1973، ص 202. --- 41- ليب، مرجع سابق، ص 334. --- 42- نوار، المرجع السابق، ص 203.
- 43- نسبة إلى السنة الرومية 1293. انظر: أوزتونا، مرجع سابق، ص 102.
- 44- نوار، مرجع سابق، ص 202. --- 45- الدوري، مرجع سابق، ص 152. --- 46- ستو، مرجع سابق، ص 14.
- 47- أحمد باشا الصلح: جد مؤلف كتاب «سطور من الرسالة» ينتمي إلى عائلة الصلح وهي عائلة لبنانية مغربية الأصل اشتهرت بالنضال القومي وبدأ أحمد باشا الصلح حياته كترجمان لوالي صيدا محمد باشا، ثم أصبح في ما بعد متصرفا في الدولة العثمانية، كان له نفوذ واسع لدى الولاة العثمانيين ولدى السلطنة. وتولى عدة متصرفيات، فكان- هو وابنه منح الصلح- من منظمي حركة الاستقلال عن الدولة العثمانية في المشرق العربي العام 1877. انظر: نفسه، ص 46، 1998،
- 48- إنها الأميرة سكيكة صغرى بنات الأمير. أنظر تفاصيل خطبتها ووفاتها في: الصلح، مرجع سابق، ص 20، 21.

- 49- ستو، مرجع سابق، ص 46 --- 50- نفسه، ص 47.
- 51- الحاج حسين بيهم: (1833-1881) أديب لبناني. ولد في بيروت، كان والده من أعيان المدينة وأدبائها. تعلم على يد الشيخ محمد الخوت والشيخ عبد الله خالد. تعاطى التجارة لمدة يسيرة ثم انقطع إلى العلم. كان شاعر يجيد ارتجال الشعر في الغافل. تولى عدة مناصب حكومية منها ناظر الخارجية. و كان حاضرا الجواب ثاقب الرأي كرم الأخلاق عالي المهمة محبوبا عند الجميع. انظر: شيخو، مرجع سابق، ص 147، 148 ---
- 52- ستو، مرجع سابق، ص 47 --- 53- الصلح، مرجع سابق، ص 93.
- 54- ستو، مرجع سابق، ص 47 --- 55- الصلح، مرجع سابق، ص 124 --- 56- ستو، مرجع سابق، ص 47.
- 57- نفسه --- 58- الصلح، مرجع سابق، ص 93، 92 --- 59- نفسه، ص 93 --- 60- الدوري، مرجع سابق، ص 145.
- 61- انطونيوس، جورج، باحث عربي في تاريخ فحضة العرب الحديثة، لبناني الأصل، ولد بالإسكندرية سنة 1893، درس بالجنرال عين بإدارة المعارف بفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى. له كتاب بالانجليزية بعنوان «بقطة العرب». توفي بالقدس سنة 1942. [ لم يتحدث انطونيوس عن حركة الوجهاء لأنه توفي قبل صدور كتاب عادل الصلح. ] انظر: نصار وآخرون، م 1، مرجع سابق، ص 483 --- 62- انطونيوس، مرجع سابق، ص 149 --- 63- يقصد بالشام كل من سورية ولبنان وفلسطين والأردن.
- 64- كان عددهم حوالي ثلاثين شخصا من صيدا وبيروت ودمشق وحلب وحمص وهما واللادقية ومن حوران وجبل الدروز. انظر: الدوري، مرجع سابق، ص 153 --- 65- الصلح، مرجع سابق، ص 98.
- 66- يذكر سهيل الخالدي أن البيعة تمت فعلا ومرتين الأولى في صور والثانية في قصر الأمير بضاحية دمر بدمشق. انظر: الخالدي، توضيحات لألان كريستلو، مقال سابق. --- 67- انعقد المؤتمر أثناء الحرب الروسية العثمانية، وكان وضع الدولة العثمانية ومصرها غير واضح فالترت له ما يبرره. --- 68- الصلح، مرجع سابق، ص 100 --- 69- نفسه، ص 100.
- 70- ستو، مرجع سابق، ص 50 --- 71- الصلح، مرجع سابق، ص 126 --- 72- حنا، مصدر سابق، ص 36-39.
- 73- الدوري، مرجع سابق، ص 155 --- 74- ستو، مرجع سابق، ص 45 --- 75- الصلح، مرجع سابق، ص 145.
- 76- كرم، يوسف بك (1823-1889): زعيم لبناني ماروني. من أهل إهدن في شمال لبنان. نفاه فؤاد باشا إلى الآستانة، ففر عائدا إلى بلده، فطلبه داود باشا فقاومه يوسف وأنصاره بشجاعة. استقر آخر أمره في نابولي بإيطاليا. انظر: البعلبكي، مرجع سابق، ص 362 --- 78- الصلح، مرجع سابق، ص 111 --- 79- ستو، مرجع سابق، ص 50 --- 80- يرجح مؤلف «سطور من الرسالة» أن يكون الوسيط هو المطران يوسف الدبس. انظر: الصلح، مرجع سابق، ص 118 --- 81- نفسه، ص 119، 122.
- 82-Ahmed Bouyerdene, Studia Islamica, nouvelle édition/new series, 2, 2011, p.149.

83- شيلشر، مرجع سابق، ص 253، 1998

**Abstract:** When El Amir Abd-el-Kader moved to El Sham (Syria) after being released by The emperor Napoleon III, his reputation and his good behaviour has preceded to those lands, the people have heard about El Amir's long Jihad (resistance) and fights against the French in Algeria, but his fame reached its peak when he intervened with courage to settle down the fire of strife between Muslims and Christians. This courageous stand of El Amir was the main reason to propose him as a candidate by number of leaders of the East and the West to govern El Sham.

While the Arab national consciousness was being formed gradually and the Ottoman Empire was facing a lot of crises, there were calls by a group of Arab nationalists in Lebanon to think seriously about the future of the Arabs. This group of leaders was known as the wise people of El Sham, and there movement had plans to appoint El Amir Abd-el-Kader at the head of the state expected.

In parallel to the movement of the wise, there were, in the same direction, secret contacts between the Maronite leader Youssef Karam and El Amir Abd-el-Kader about the independence of the Arab country and his nomination as its ruler.

El Amir's presence in Syria had clear impact on the Arab nationalism movement and independence efforts in the region; he was been a source of inspiration to advocates of Arab nationalism, besides he was a centre of polarization to political projects whose aim was to get the independence of the Arab country or its separated from the Ottoman Empire.